14 me Année No. 672

Lundi—20—5—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٢٠ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

آفة الشرق هذا الغرب !

يخيل إلىّ من هول ما اسمع وأرى أن هذا الغرب قد مُسخ حوتاً من حيتان الأساطير له رءوس أربعة قد فغر أفواهها جميعاً على الساحلين الأفريقى والآسيوى ، يريد أن يطبق فكوكها على العالم العربى بأسره ، وإنما عوّق هذه الحلاقيم عن الازدراد هذا الخلاف الصاخب بين تلك الرءوس على الاقتسام كيف يكون، وعلى الالتقام متى يبدأ ! وإذا تصورت أفواج السمك حين يسوقها التيار إلى شبكة الحوت فتجزع وتضطرب ؛ تصورت أمم الشرق الصغيرة وقد روعها هذا الوحش الهائل وهى وادعة فى ظلال دينها ، قانعة بحلال الرزق من أرضها ، فتنظر إليه نظر المقضى عليه ، تستنجد بالعهود فلا تنجد ، وتستغيث بالمواثيق فلا تغاث ، وترى بين منخرى الحوت تشرشل جالساً وقد انقلب سيجاره الفخم بين شفتيه مدفعاً ضخماً يقذف بالحمم السود على أرض (العلمين) وعلى ظهرها وبفضلها كتب الله له المجد ولشعبه السلامة !

تشرشل هذا الذى وقف ذات يوم على الساحل البريطانى يستقبل الهزيمة الساحقة الماحقة من دنكرك وقلبه واجف ودمعه واكف ، يضرع إلى الله أن يثبت قدميه العجوزين المتخاذلتين أمام الإعصار النازى الجارف ليعيد نعمة الحرية إلى الناس ، ويقيم ميزان العدالة فى الأرض ؛ فلما تمت له المعجزة ، وقتل هتلر كما قتلت البعوضة النمرود ، قام اليوم يدعو أمريكا إلى شركة أخوية بين الناطقين باللغة الانجليزية تصوب أسهمها المراشة إلى كل دولة تطلب المساواة ، وإلى كل أمة تريد التحرر ، لأن الذى ورث ملكوت هتلر وسلطانه ، يجب أن يرث كذلك عنصريته وطغيانه !

تشرشل هذا الذى كان كلما لكمه هتلر بجُمع يده الحديدية لكمة الموت ، خرفاقد القوة والوعى كالثور المزوف ، فيدركه المرحوم روزفلت ، فيجلسه ويسنده ، ويمسح الدم عن وجهه ، وينفض التراب عن جسمه ، ثم ينضحه بالماء حتى يفيق . فإذا أفاق قام مترنحاً إلى الكنيسة يصلى ، أو إلى المذياع يستغيث ، أو إلى مجلس العموم يبكى ، أو إلى البيت الأبيض يستجدى ، أو إلى المحيط الأطلسى يستوحى السماء رسالة العدالة الاجتماعية فتنزل عليه ألواحها المزيفة من سجّيل ؛ هذا الرجل الذى نجا لأن عمره طويل ، وانتصر لأن جهده قليل ، يتبجح اليوم بالعصبية والامبراطورية والدومنيون ، ويألم أشد الألم لأن وزارة العمال قررت إجلاء الجنود الانجليزية عن مصر بعد أربع وستين عاماً جثمت فيها على صدرها المكروب ، فلا تنيم إلا كما ينيم المحتضر ، ولا تتحرك إلا كما يتحرك المبهوظ ؛ والمستر تشرشل يعلم كما يعلم كل الناس لماذا دخلوها ، وكيف احتلوها ، وكم سجلت مضابط برلمانهم العتيق وعود أسلافه بالجلاء عن بلد لم يملكوه بالفتح ولا بالإرث ولا بالهبة ، وإنما فرضوا لأنفسهم عليه (حق ارتفاق) بالمرور ، ثم جعلوا احتلاله واجباً لحماية هذا (الحق) ! ثم اختلفت الأسماء على هذا الاحتلال ، من الاستعمار المقنّع ، إلى الحماية السافرة ، إلى الاستقلال الصورى ، إلى الصداقة الجبرية ؛ ولكن المسمى

ظل فى جميع هذه الحالات واحدا ، وهو الوزير الذى يأمر فى (دوننج ستريت) ، والسفير الذى ينفذ فى (قصر الدبارة) ، والأسطول الذى يهدد فى (مالطة) ! !

حتى غيرت هذه الحرب الدنيا ، فتغيرت عقول الناس ، وتبدلت وسائل النقل ، واختلفت أسلحة القتال ، وتغلبت مبادئ الاشتراكية ، وتأصلت فكرة الحرية ، واستحيا بنوآدم أن يظلوا على شريعة الوحوش يحكّمون الأظفار والأنياب فيما يشجر بينهم من خلاف ؛ فاتخذوا (ميثاقا) للأمم ، وألفوا مجلساً للأمن ، وأقاموا محكمة للعدل ، وطمعوا أن يقيموا العالم الجديد على هذه القواعد ؛ ولكن تشرشل وسائر المحافظين لم يكونوا جادين يوم نادوا مع رومان واستالين بهذه المبادئ ، لأنهم مطمئنون إلى براعتهم فى مماطلة الموت كلما طلع عليهم بمنجله الرهيب ! ومن يدرى ؟ لعل الموت الذرّى فى زيارته القادمة لا يقبل من المخادعين بعد ذلك مطلا ولا ختلا ولا فدية !

لقد كان الشعب الانجليزى بعيد النظر سديد الرأى حين دهور تشرشل وإيدن وأعوانهما عن كراسى الحكم فى صبيحة يوم النصر ؛ فإن من انتصر بالسيف لا يصالح إلا بالسيف ، ومن عشش الاستعمار فى رأسه وفرّخ فى نفسه لا يستطيع أن يؤمن بالديمقراطية والحرية إيماناً يحمله على أن يحبهما فى نفسه وفى غيره ، ويرجوهما لصديقه ولعدوه !

* * *

على أن عذر تشرشل فى موقفه من مصر ومن غيرها ناهض ؛ فإن الرجل ربيب العسكرية والاستعمار منذ درج ؛ ولكنك تكلف العقل شططا إذا حاولت أن تجد بعض العذر لموقف رومان الرجل الشعبى من فلسطين ! ! لقد درس أنفه فى هذه القضية درساً ، لأن القادير شاءت أن يكون له فى قضايا العالم رأى ! فهل فهمت أنفه رائحة العدل فيها ، أم سطع فى خيشومه عبير الذهب الصهيونى وهو بغيد فى الانتخابات والدعايات ، وينفع فى الحروب والملمات؟ وما ذا يضر إذا نافس الأمريكانُ الإنجليزَ فى إرضاء اليهود على حساب العرب ما دام الأمر لا يكلفهم إلا إيفاد (لجنة) تبحث وتحقق ، ثم إرسال (حملة) تنفذ وتطبق ؟ أما فلسطين فحسبها من العيوب والذنوب أنها شرقية ، وأنها عربية ، وأنها مسلمة ، فلم لا تكون مشاعاً بين أهل الديانات الثلاث ، ثم تُقسّم إقطاعاً ليهود القارات الخمس ؟ ولا تسل بعد ذلك عن حرية الشعوب وحرمة الأوطان وقدسية الحقوق ، فإن ذلك كلام كان يقرر ويكرر وسيف هتلر مُصلت على الأعناق ، وكابوس النازية جاثم على الصدور !

* * *

واستالين ، ما شأنه والوصاية على طرابلس ؟ هل كان يظن أن انجلترا تترك مفتاح (كرارها) فى يد القط ؟ إنها ترضى إذا حيل بينها وبينها أن تعود إلى إيطاليا ، لأن إيطاليا ريح لا تثير الغبار ، وحمى لا يعوق السائر ! فإذا سألت هؤلاء الذين يحكمون ويقسمون: لماذا تردون السلوب إلى سالبه ، ولا تردونه إلى صاحبه؟ أجابوك جواب المستعمر الخبير : إنا إذا أعدنا طرابلس إلى أهلها خرجت برقة من قبضة بريطانيا ، وأفلتت تونس والجزائر ومراكش من ربقة فرنسا . وجعلها فى وصاية الجامعة العربية لا يختلف عن استقلالها فى الخطر الذى يهدد الجامعة العربية ؛ لأن الشرق ما دام سوقاً للاستعمار ظلت سلعه المباركة موضع المقايضة والمعاوضة ! فإذا حررت رقاب العبيد ، وأغلقت سوق الرق ، انقلب المستعمرون إلى ديارهم خاسرين يقتل بعضهم بعضاً من الخوف ، ويأكل بعضهم بعضاً من الجوع! والرد الذى تقتنع به عقلية الغرب ، إنما هو مجابهة العدوان بالعدوان ، ومواجهة القوة بالقوة . وليست الإشارة هنا إلى العدوان والقوة من القول الجزاف ؛ فإن قوتنا الفكرية متى ذهب عنها حرك النقص الذى اعتراها من طول ما ضامها المستبد وسامها الدخيل ، استطعنا أن نقول صادقين لأى أمة من أمم الأرض : لقد اجتمع رجالنا برجالكم فى مؤتمر الميثاق وفى مجلس الأمن ، فهل وجدتم فى عباقرة أوربا وجهابذة أمريكا من يفوق عبد الحميد بدوى ، أو محمود حسن ، أو حافظ عفيفى مثلا ، فى رسوخ القدم فى القانون ، وأصالة الرأى فى المشورة ، ومتانة الحجة فى الجدل ، ومقطع الصواب فى الحكم؟ وأما القوة المادية ، فالعدد وفير ، والإيمان صدق ، والرأى جميع ، والعروة وثيقة . فإذا أعوزتنا الوسائل تبرع بها من يترقب هذه الفرصة ليكيد ، ويستعجل هذا اليوم ليستفيد !

حسين الزيات